وجوه الاشتراك والافتراق حول بعض الكنايات القرآنية في تفسير روح المعاني للآلوسي وسائر التفاسير

هديه مسعودي صدر
عضو هيئة التدريس في قسم المعارف، جامعة شهيد چمران أهواز، أهواز، إيران
H.masoudisadr@scu.ac.ir

The similarities and differences regarding some Quranic metaphors in Al-Alusi's interpretation of Ruh Al-Ma'ani and other interpretations

Hadyeh Mas'udi Sadr
Instructor , Department of Islamic Studies , Shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran

الملخص:-

هناك للبلاغة و فنونها العديدة دورٌهامٌ في إلقاء الكلام بأجود الطّرق حيث يُلقَي الكلام في موضعه المناسب. إنّ البلاغة نفسَها تَنقَسم إلى ثلاثة أقسامٍ و هي المعاني، البيان و البديع و كلٌ منها يَبحث حولَ عدة ميزات الكلام البليغ ولكن علم البيان مع فروعه الأربعة (المجاز، التّشبيه، الاستعارة و الكناية) له دورٌ أهمّ و أبرز من المعاني و البديع. تعدّ الكناية من الفنون البيانية أيضاً وتسهم في خلق الصور الخيالية الجميلة كما يساعد الأدباء على التأثير الكثير في المتلقّين ويلعبُ دوراً بارزاً في خلق الأساليب الأدبية الجميلة؛ فهي «لون من ألوان التعبير يعرض فيه الحقائق عرضاً غير مباشر، فإن هناك ما يستدعي الإشارة إلى المطلوب من بعيد، فتكون في النفس أوقع وأحلى وعند بيان الغرض أنسب وأولى. والأسلوب الكنائي أفضل وسيلة لبيان المراد و الرامي إلى الغرض. وهو أنيُريدَ المتكلّمُ إثباتَ معنى من المعاني، فلا يَذكرُه باللّفظ الموضوع له في اللّغة، بل يَجيءُ بمعنى هو تاليه وردفُه في الوُجود، فيُؤمي إليه ويَجعلُه دليلاً عليه. كتبت هذه المقالة عبر المنهج الوصفي - التحليلي واستند إلى الكتب التفسيرية و البلاغية لدراسة آراء «الآلوسي» وسائر المفسّرين حول بعض التعابير الكنائية الموجودة في القرآن الكريم؛ لذلك في بداية الأمر بادرنا بالإشارة إلى البلاغة وعلم البيان و مفهوم الحقيقة والمجاز. بعد ذلك أشرنا إلى معنى الكناية في اللغة والاصطلاح، كما أشرنا إلى حياة الآلوسي وبعض مؤلّفاته. وفي نهاية المطاف جئنا ببعض الآيات القرآنية المشتملة على الكناية مع ذكر آراء الآلوسي وسائر المفسّرين حولها. اهمّ ما استنتجت هذه المقالة هو أنّ الآلوسي اهتمّ بفنّ الكناية عند تفسيره للقرآن الكريم و سعي أن يفسّر الآيات القرآنية مع أخذ معانيها الكنائية بعين الاعتبار.

الكلمات المفتاحية: تفسير القرآن، علم البيان، الكناية، الآلوسي، روح المعاني.

Abstract:-

Rhetoric and its many arts play an important role in delivering speech in the best possible way, where speech is delivered in its appropriate place. Rhetoric itself is divided into three sections: meanings, rhetoric and rhetoric, each of which explores several features of eloquent speech, but rhetoric with its four branches (metaphor, simile, metaphor and metonymy) has a more important and prominent role than meanings and rhetoric. Metaphor is also one of the rhetorical arts and contributes to creating beautiful imaginative images. It also helps writers greatly influence recipients and plays a prominent role in creating beautiful literary styles. It is "a form of expression in which facts are presented indirectly, as there is something that calls for pointing to the desired from afar, so it is more effective and sweeter in the soul and more appropriate and deserving when explaining the purpose." The metonymic style is the best way to express the intended meaning and the one aiming at the goal. It is that the speaker wants to prove a meaning, so he does not mention it with the word used for it in the language, but rather he brings a meaning that follows it and is its successor in existence, so he alludes to it and makes it an evidence for it. This article was written using the descriptive-analytical method and based on the exegetical and rhetorical books to study the views of Al-Alusi and other exegetes about some of the metonymic expressions found in the Holy Quran; therefore, at the beginning, we took the initiative to refer to rhetoric, the science of rhetoric, the concept of truth and metaphor. After that, we referred to the meaning of metonymy in language and terminology, as we referred to the life of Al-Alusi and some of his works. Finally, we have come with some Quranic verses that include metaphor, mentioning the opinions of Alusi and other interpreters about them. The most important conclusion of this article is that Alusi was interested in the art of metaphor when interpreting the Holy Quran and sought to interpret the Quranic verses while taking their metaphorical meanings into consideration.

Key words: Quranic interpretation, rhetoric, metaphor, Alusi, spirit of meanings.

١ـ المقدّمة

تعتبر الكناية طَريقة من الطُرق البيانيَّة الجميلة في البلاغة العربية كما تكون فناً أدبياً جميلاً. من أهمّ ميزات هذا الفنّ هي أنّها تكون الصّلة الوثيقة بين اللَّفظ و المعنى حيث تسبّب إلى سعي الكاتب أو المتكلّم على إتيان كلامٍ غير واضحٍ حيث لايدركه السّامعون بسهولة؛ فلذلك قد اهتمّ إلى هذه الفنّ الجميل منذُ قديم الزّمان و سالف العصر و الأوان حتى يومنا هذا. «الكناية لون من ألوان التعبير تعرض فيه الحقائق عرضاً غير مباشر، لأنّه كما أن بعض مقامات الكلام تقتضي التصريح بالغرض والتعبير عن المراد مباشرة، فإن هناك أيضاً ما يستدعي الإشارة إلى المطلوب من بعيد، فتكون في النفس أوقع وأحلى، وعند بيان الغرض أنسب وأولى. فالأسلوب الكنائي يتضمن بلاغة و براعة في الكلام، ونكتاً وفوائد في البيان لاتتحقق تلك اللطائف بالتعبير المباشر. هذا الفن من الفنون التي يوزن بها مستوى كلام البليغ، و مدي بلاغتة وجودته»(رسولي و نورسيدة، ٢٠١٣: ٥٠). يرى العلماء أنّ الكناية أبلغ من التصريح، ففي العدول إليها لابد من فائدة قد تكون هذه الفائدة المبالغة، أو الرغبة في العدول عما يفحش ذكره صريحاً، أو التعبير عن حال معينة، أو عن صاحب الحال، أو غير ذلك. فعلي هذا الأساس يمكن القول أنّه من أغراض الكناية يجب الإشارة إلى بيان نكتة جديدة أو تأثير أكثر أو المبالغة في بعض الأغراض نحو المدح أو الذّم أو الإيجاز أو أي غرض بلاغي آخر. ففي الكناية نستطيع أن نأخذ المعنى الظّاهري للكلام بعين الاعتبار كما باستطاعتنا أن نهتمّ بالمعنى غير الحقيقي له وهذا هو الفرق الأساسي بين الكناية وبين المجاز والاستعارة.

في مجال أهمية الكناية في الكلام وضرورة دراستها في هذه المقالة يجب الإشارة إلى أنّ لهذا الفنّ دوراً بارزاً في تحليل النصوص المختلفة لاسيّما في تفسير القرآن الكريم، كما بادرنا في هذه المقالة بدراسة بعض التعابير الكنائية في القرآن الكريم وذكر آراء الآلوسي وسائر المفسّرين حولها، وكلّ هذه الجهود للكشف عن الأجوبة للأسئلة التّالية:

١- كيف كان اهتمام الآلوسي بفن الكناية؟

٢- كم كان التقرّب بين آراء الآلوسي وسائر المفسّرين في تفسير التّعابير الكنائية الموجودة في القرآن الكريم؟

٢ - فرضيات البحث

- يبدو أنّ الآلوسي كان يهتمّ بالمعاني الكنائية لبعض التعابير القرآنية.
- يبدو أنّه هناك بعض الاشتراكات بين آراء الآلوسي حول التعابير الكنائية في القرآن الكريم وبين آراء سائر المفسّرين.

٣ - خلفية البحث

في مجال خلفية هذا البحث يجب الإشارة إلى بعض البحوث منها:

- مقالة «دراسة كنايات اليد في القرآن الكريم و الأدب العربي»، لمحمد إسمعيل زادة، المطبوعة في فصلية آفاق الحضاره الاسلاميه، سنة ١٣٩٠ ش. استنتج الباحث أنّه استعملت كلمة «اليد» في القرآن الكريم مرّات عديدة بأشكال مختلفة يعني بالإفراد والتثنية والجمع، ولها معان كنائية مختلفة نحو النعمة، القدرة، الوقاية، الغني، القهر فبادر الباحث بالفحص عن هذه المعاني الكنائية لكلمة «اليد» في القرآن الكريم.
- مقالة «صور الكناية في الكلام النبوي الشريف، لـ «حجت رسولي» و«على اكبر نورسيده». المطبوعة في فصلية اضاءات نقديه في الادبين العربي و الفارسي، سنة ١٤٣٤ هـ. قام الباحثان في هذه المقالة باختيار بعض التعابير الكنائية في كلام النبي ﷺ و بادرا بتفسيرها استناداً إلى الكتب البلاغية المشهورة لإفصاح مقاصد النبي ﷺ أكثر فأكثر.
- مقالة «دلالة أسلوب الكناية في القرآن الكريم، لسيّد أبوالفضل سجادي وسميرا فراهاني، المطبوعة في مجلة الجمعيه العلميه الايرانيه للغه العربيه و آدابها، سنة ١٣٩١ ش. فقد قام الباحثان بذكر التعابير الكنائية الموجودة في الجزء الثلاثين للقرآن الكريم للكشف عن المعاني الرئيسة المرادة من هذه الآيات والتعابير الكنائية.
- مقالة «دلالات أسلوب الكناية في نهج البلاغة (خطبة القاصعة أنموذجا)» لسودابة مظفري وفاطمة خرميان، المطبوعة في فصلية مطالعات أدب إسلامي، سنة ١٤٠١ ش. قد اهتمت الباحثتان بذكر بعض التعابير الكنائية في خطبة القاصعة لنهج البلاغة

وكشفتا عن معانيها وفقاً لما هو موجود في الكتب البلاغية من قضايا التي ذكرت حول فنّ الكناية وأقسامها.

كما شاهدنا في هذا المجال، لم نرَ مقالةً اهتمت بدراسة الكناية من وجهة نظر المفسرين ولاسيّما الآلوسي، وهذا ما يميّز مقالتنا هذه من المقالات المذكورة ههنا.

٤ - الإطار النّظري للبحث

بما أنّ الكناية تعدّ من فنون علم البيان فمن الواجب أن نتحدّث حول البلاغة و علم البيان قبل كلّ شيء. إنّ البلاغة من (ب ل غ) و يُقال: «بَلَغَ الشَّيءُ يَبلُغُ بُلُوغاً وَ بَلاغاً: وَصَلَ وَ انتَهَى، وَ أبلَغَهُ هُو إبلاغاً وَ بَلَّغَهُ تبليغاً، وَ تَبَلَّغَ بالشَّيء: وَصَلَ إلى مُراده، وَ البَلاغُ: ما يُتَبَلَّغُ بِهِ وَ يُتَوَصَّلُ إلى الشَّيء المَطلُوب، وَ البَلاغُ: ما بلغك وَ البَلاغُ: الكفايَةُ، وَ البَلاغُ: الإبلاغُ، وَ البَلاغَةُ: الفَصاحَةُ. وَ البَلَغُ وَ البِلغُ: البَليغُ من الرِّجال. رَجُلٌ بَليغٌ وَ بَلِغٌ وَ بِلغٌ: حَسَنُ الكلام فَصيحُهُ يبلغ بعبارَةِ لسانه كنهَ ما في قَلبِه، وَ الجَمعُ: بُلَغاء، وَ قَدبَلَغَ بَلاغَةً: أي صارَ بَليغاً». (ابن منظور، ١٤٠٨ هـ، مادّة بلغ) و كما نرى أنّ ما يشتقُ من هذه المادّة يدلُ على إبلاغ المعنى و إيصاله إلى المخاطب. قدأورد الأدباء في مختلف العُصور حول «البلاغة» و مفهومها آراء مختلفةٌ منها: «لايَكونُ الكلامُ يَستَحقُّ اسمَ البَلاغَة حتى يُسابِقَ مَعناهُ لَفظَهُ وَ لَفظُهُ مَعناهُ، فَلايَكونَ لَفظُهُ إلى سمعك أَسبَقَ من مَعناهُ إلى قلبك» (جاحظ، ١٤١٨ هـ، ١١٥/١)؛ لذلك نستطيع أن نقول أنّ الكلام البليغ هو ما يتبادر معناه إلى ذهن المخاطب مع استماعه لذلك الكلام دونَ أن يحتاج إلى التأمّل و التعميق فيه. و في موضع آخر:«لاخيرَ في كلامٍ لايَدُلُّ على معناك وَ لايُشيرُ إلى مَغزاك، و إلى العَمُود الذي إليه قَصَدتَ وَ الغَرَضِ الذي إليه نَزَعتَ» (نفس المصدر، ١١٣/١- ١١٦)؛ فيمكن القول أنّه من شروط بلاغة الكلام هو مراعاةُ مقتضي الكلام و أحوال المخاطب، كما ينبغي للمُتكلّم أن يعرف أقدار المعاني و يوازن بينها و بين أقدار المُستمعين و بين أقدار الحالات فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً و لكل حالة من ذلك مقالا، حتى يُقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات و أقدار المُستمعين على تلك الحالات»(عيد، لاتا، ١٥). و لـ «أبيهلال العسكري» قولٌ في مفهوم البلاغة و هو: البلاغة هي «التَّقَرُّب من المعنى البَعيد وَ هو أنيَعمدَ إلى المعنى اللَّطيف فَيَكشفَهُ وَ يَنفي الشَّواغِلَ عَنهُ فَيُفهِمَهُ السَّامعُ من غَيرِ فكرٍ فيه وَ تَدَبُّرٍ لَه» (عسكري، ١٤١٩ هـ، ٤٧/١). إنّ لفظ «البيان» يدلُ على الوضوح في أصل الوضع اللّغوي حيث يقال:

«البيانُ ما بُيِّنَ به الشَّيءُ من الدِّلالَة و غيرِها، و بان الشَّيءُ بَياناً: اتّضَحَ فَهو بَيِّنٌ» (ابن منظور، ١٤٠٨، مادّة ب ي ن)، و كلُ ما يشتقُ من هذه المادة كـ «أبانَ، استبانَ، بيَّنَ و تَبَيَّنَ»، أيضاً يدُلُّ على الإيضاح و الإظهار. و لكن مصطلح «البيان» قدظلَّ لفترةٍ طويلةٍ من الزَّمان متَّسعاً لمعانٍ كثيرةٍ منها: الإعراب عمّا في النَّفس من خواطر وأفكار، ومنها مُضاهاة معنى الفصاحة والبلاغة في جمال التعبير و تمام الدّلالة. بما أنّ الكناية تعتمد على المعنى الحقيقي والمعنى المجاز فمن الواجب أيضاً أن نتطرّق إلى مفهومي الحقيقة والمجاز في هذا المجال.

٥ - الحقيقة والمجاز

من المستطاع أن نقول أنَّ الحديث عن «الحقيقة» و «المجاز» واستعمالهما في الكتب الأدبيّة، يرجع إلى قرني الثّاني و الثّالث في كتابي «مجاز القرآن» لـ «أبيعبيده» و «البيان والتبيين» لـ «الجاحظ». إنَّ «أباعبيده» يقول في تفسير: ﴿وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾(٨٢/١٢): مجازه «وَ سئل أهلَ القريةِ وَ مَن في العيرِ» (التيمي، لاتا، ٨/١). وكذلك «الجاحظ» يأتي في تفسير «نارُ الحرب» بعبارة تدلُّ على اهتمامه بالمعنى الحقيقي والمجازي وهي: «وَ يَذكرُونَ نَاراً أخرى وَ هيَ على طَرِيقِ المَثَل لا على طَرِيقِ الحَقِيقَة» وكذلك في موضعٍ آخر يقول في معنى «نارُ القِرَي»: «وَ نَارٌ أخرى، وَهيَ مَذكورَةٌ على طَرِيقِ الحَقِيقَة لا على طَرِيقِ المَثَل»(جاحظ، ١٣٨٦ هـ، ١٣٣/٥-١٣٤).

٦- ما هي الكناية؟

إنّ الكناية أيضاً تكون من العناصر التي تلعب دورا هاماً في بيان مقاصد الأدباء وبالتّالي في تعيين الأساليب الموجودة في الأعمال الأدبية المختلفة. يتمّ دراسة هذا الفن في المستوى البلاغي أي الدّلالي. «الكناية» مأخوذةٌ من «كني» أو «كنو»، و جاءَ في لسان العرب حول هذه المادّة: «كَنَي عَن الأمرِ بغَيرِه، يَكنِي كنايَةً: إذا تَكلَّمَ بِغَيرِه ممَّا يستدلّ عليه، نحو الرَّفث و الغائط.» و «كَنَى عَنهُ إذا وَرَّى» و «كَنيتُ الرَّجلَ بأبي فُلان وَ أبا فُلان، كنيةً و كنيةً و كنيةً». يَقول الفرّاء: الفَصيح أنيُقال: «كنّيَ أخوك بعمرو وكنّيَ أخوك بأبيعمرو وكنّيَ أخوك أباعمرو». و تَكنَّي: تَحَجَّي و تستر» (ابن منظور، ١٤٠٨: مادّة كني). يقول الزّمخشري: «كني: كَنَي عَن الشَّيءِ وَ كَنا وَلَدَهُ وَ كَنّاه بكنيَةِ حَسَنَة وَ تكنَّي أباعَبدالله أو بأبي عَبدالله. من الجدير بالذّكر أننقول أنَّ مادّة «كنن» تدلُّ على معنى الخَفاء و السّتر أيضاً

ويُقالُ: «كنَّ الشَيءَ يَكنُّه كنّاً و كُنوناً و أكنَّه و كنَّنَهُ: سَتَرَه و أخفاه و قال الفراء: «و للعرب في أكنَنتُ الشَيءَ إذا سَتَرتَه لُغتان: كنَنتُه و أكنَنتُه، اكتَنَّ واستَكنَّ: استتر، الكنّ والكنَّة والكنان: وِقاءُ كلِّ شَيءٍ و سِترُه». (ابن منظور، ١٤٠٨: مادّة كنن). فكما نرى إنّ المعنى اللغوي للكناية يتمحور حول مفهوم الخفاء والسّتر كما هي الحال في معنا الاصطلاحي؛ إذ الكناية على صفة مصطلح بلاغي، هو أن يُريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلايَذكرُه باللّفظ الموضوع له في اللّغة، بل يجيءُ بمعنى هو تاليه و ردفه في الوجود، فيُؤمي إليه و يجعله دليلاً عليه. مثال ذلك قولهم في المرأة:«نؤوم الضُّحي» و المُراد أنّها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرَها. و كما نرى أنّهم أرادوا معنى و لكن ليذكروه بلفظه الخاصّ»(الجرجاني، ٢٠٠٤: ٦٦). فالمعني اللغوي للاستعارة ومعناه الاصطلاحي كلاهما يرتبط ارتباطاً تماماً ويدوران حول محور الخفاء. فملخّص القول أنّ الكناية «تعبير يساق ولا يراد لذاته بل يراد ما يرتبط به» (فتحي، ١٩٨٦: ٢٩١)، و للكناية تعريفات كثيرة لكنها في تلخيص: «اللفظ الدال على ما أريد به الحقيقة والمجاز جميعاً»(العلوي، ٢٠٠١: ٣/ ١٨٩)؛ إذ أنها لا تنافي إرادة الحقيقة والمجاز بلفظها بل تحتمل هذا و ذاك، فلا قرينة فيها تمنع من إرادة المعنى الحقيقي. كذلك من الجدير بالذّكر أنّه «لا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلاّ لتوخي نكتة، كالإيضاح، أو بيان حال الموصوف، أو مقدار حاله، أو القصد إلى المدح، أوّ الذم، أو الاختصار، أوّ الستر، أو الصيانة، أو التعمية، أو الإلغاز، أو التعبير عن الصعب بالسهل، أو عن الفاحش بالطاهر، أو عن المعنى القبيحّ باللفظ الحسن» (الرافعي، ١٩٨٤: ٧٠). إنّ أهم أسباب حثت العرب في استعمال الكنايات ها هي:«١) التَّنبيه على عظم القُدرة ٢) فتنة المخاطب ٣) ترك اللَّفظ إلى ما هو أجمل منه ٤) إذا كان ذكرُ الشّيء يفحش في السمع فيكنّي عنه بما لاينبو عنه الطَّبع ٥) تحسينُ اللَّفظ ٦) قصدُ البلاغة ٧) قصدُ المبالغة في التَّشنيع ٨) التَّنبيه على مصيره(أي مصير ما يتكلَّم عنه المتكلِّم) ٩) قَصدُ الاختصار ١٠) هو أنيعمد (المتكلِّم) إلى جملة وُرد معناها على خلاف الظّاهر، فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز»(الزركشي، ١٤٠٤: ٢/٣٠١-٣٠٩). إنَّ لـ «عبدالقاهر الجرجاني» دوراً كبيراً في تقسيم الكناية على أساس«المكنّي عنه» الذي قام بها من جاء بعده من عُلماء البلاغة، حيثُ قسَّموا الكناية على هذا الأساس إلى ثلاثة أقسام: الكنايةُ عن الصّفة، الكنايةُ عن الموصوف، الكنايةُ عن النّسبة. إنّ «الكناية عن الصّفة هي أن يقصد

المتكلِّم منها بيان الصّفة أم إثباتها غير مصرَّح، لذلك يذكر الموصوف و لايصرحُ بالصّفة بل يأتي بها غيرمباشرة و المراد بالصّفة هنا الجود، و الكرم و الشّجاعة و ما جري مجراها، على سبيل المثال إنَّ «هو واسعُ جيبِ الكمِّ» كنايةً عن أنَّه جوادٌ»(سكاكي، ١٤٠٧: ٤٠٣). و«الكناية عن الموصوف هي أنيتَّفق في صفة من الصِّفات اختصاصا بموصوف معيّن، فتذكر للوُصول بها إلى ذلك الموصوف. كما يُكنّي بـ «صاحب الحُوت» عن النَّبي يونس عليه السلام»(عطوي، ١٩٨٩: ٥٤) في الآية الشّريفة: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (القلم: ٤٨). وأيضاً و يقال لها «الكناية عن النّسبة» و في هذا النَّوع يُصرَّحُ بالصِّفة و الموصوف، و لايُصرح بالنّسبة الموجودة مع أنَّها المرادةُ»(عطوي، ١٩٨٩: ٥٥). و مثالُ ذلك قولُ «البُحتري»:

ظَلِلنا نَعُودُ المَجدَ مِن وَعكِكَ الَّذي ... وَجَدتَ وَ قُلنا: أَعتَلَّ عُضوٌ مِنَ المَجدِ

(البحتري، ١٤١٤ هـ، ٣٦٨/١)

٧ - وجه تسمية الكناية وأقسامها

سمِّي هذا الفنّ كناية لما فيه من إخفاء وجه التَّصريح، و دلالة كني عن ذلك، لأنَّ «ك ن ي» كيفما تركبت، دارت مع تأدية معنى الخفاء، من ذلك «كَنَي عَن الشَّيء يكني»، إذا لم يُصرَّح به، و منه «الكنى» و هو «أبوفلان»، «ابن فلان»، «أمّ فلان» و «بنت فلان» سُمّيت «كني» لما فيها من إخفاء وجه التَّصريح بأسمائهم الأعلام و مِن ذلك «نكي في العدوِّ ينكي»: إذا أوصل إليه مضارٌ مِن حيثُ لايشعر بها، و منه «نكايات الزَّمان» لجوائها الملمَّة على بنيه من حيثُ لايَشعرونَ» (السكاكي، ١٤٠٧ هـ، ٤٠٢). هناك للكناية أقسام عديدة نشير إليها فيما يأتي:

الف - الكناية عن الصّفة

أوّل قسم للكناية تكون الكناية عن الصفة و«هي أن يقصد المُتكلِّمُ منها بيان الصّفة أم إثباتها غيرمصرَّحٍ، لذلك يذكر الموصوف ولا يُصرّحُ بالصّفة بل يأتي بها غيرمباشرة والمرادُ بالصّفة هنا الجود، والكرم و الشّجاعة وما جري مجراها، على سبيل المثال إنَّ «هو واسعُ جيبِ الكمِّ» كنايةً عن أنَّه جوادٌ» است (السكاكي، ١٤٠٧: ٤٠٣). فهذا القسم هو أوضح وأسهل طريقٍ لبيان المقاصد والمفاهيم بصورة خفية لا يفهمها الأغيار.

ب- الكناية عن الموصوف

القسم الثّاني من أقسام الكناية تكون الكناية عن الموصوف «هي أنيتّفقَ في صفةٍ من الصِّفات اختصاصاً بموصوفٍ معيَّن، فتُذكر للوُصول بها إلى ذلك المَوصوف»(العطوي، ١٩٨٩: ٥٤). كما يُكنّي بـ «صاحبِ الحُوت» عَن النَّبي يُونس عليه السلام في الآية الشّريفة: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (القلم، آيه ٤٨). يكون استخدام هذا القسم من الكناية أصعب من الكناية عن الصّفة؛ لأنّه على الأديب أن يكون عارفاً بالمصاديق المختلفة للألفاظ حتى يستطيع أن يستخدمها في المواضع التي يريد. كما هي الحال للمتلقّين؛ إذ يجب عليهم أن يعرفوا المعاني المختلفة للكلمات و التّعابير و مصاديقها حتى يفهموا المعاني المكنونة و الخفية في الدعمال الأدبية شعريةً كانت أو نثريةً.

ج - التّعريض

إحدي أقسام الكناية تكون التّعريض وهي لُغةً من «عَرَضَ يَعرِضُ عَرضاً» بمعنى: «أراهُ إيّاه». و يُقال: «أعرضَ لك الشيءَ من بعيد: بدا و ظَهرَ، استَعرضَهُ: طَلبَ منهُ أن يَعرضَ عليه ما عِندَه» و «التَّعريضُ- في خِطبة المَرأة في عِدَّتها - أنيتَكلَّمَ بكلامٍ يشبه خِطبتها و لايُصرِّحَ به و التَّعريضُ قديكونُ بِضرب الأمثالِ و ذكرِ الألغازِ في جُملة المَقال» (ابنمنظور، ١٤٠٨: مادّة عرض). أصلُ التَّعريض الإشارةُ من العُرضِ والجانب. و في اصطلاح البلاغة «التَّعريض» هو اللَّفظ الدّال على الشَّيء من طريق المفهوم، لا بالوَضع الحقيقي و لا المجازي. و من التَّعريض مثلاً أنَّ امرأةً وَقفت على «قيس بن عبادة» فقالت: «أشكو إليك قِلّةَ الفأرِ في بيتي» فقال: «ماأحسنَ ماورَّت عَن حاجتها، املأوا بيتَها خُبزاً وسَمناً ولَحماً» (العطوي، ١٩٨٩: ٥٥). إنَّ «ابنوهب» يُعبِّر عن التَّعريض بـ «اللَّحن»(عكاوي، ١٤١٤: ٣٨٤) وسمّي هذا القسمُ في كتاب «قواعد الشّعر» بـ «لطافة المعنى» (ثعلب، ١٤٣٠: ٤٩). يستخدم هذا القسم عندما نريد أن نبيّن مقاصدنا من عُرض الكلام أو إذا أرنا أن نسخر من الآخرين أو نتهكم.

د - التّلويح

إنّ التّلويح من «لاحَ يَلوحُ لَوحاً: بَدا، لاحَ لي أمرُك و تَلوَّحَ: بانَ وَ ظَهرَ، لاحَ يَلوحُ

لؤوحاً و لياحاً: ظهر» (ابنمنظور، ١٤٠٨ هـ، مادّة لوح)، وفي مُصطلَحُ البَلاغة إن كانت «الكنايةُ» ذات مسافة بينَها و بينَ المكنّيعنه مُتباعدة، لتوَسُّط اللوازم» (سكاكي، ١٤٠٧ هـ، ٤١١)، كما في «كثير الرّماد»، كان إطلاقُ اسم «التَّلويح» عليها مناسباً لأنَّ «التَّلويح» هو أنتُشير إلى غَيرك عَن بُعد» (عسكري، ١٤١٩ هـ، ٣٥١/١). إنَّ «ابنرشيق» يَعتبر «التَّلويحَ» من أقسام «الإشارة» (القيرواني،١٤١٦ هـ، ٤٨١/١). ولكن يَتطرَّق إليه خلال دراسته للكناية. قال «السجلماسي» في تعريف «التَّلويح»: «هو اقتضابُ الدّلالة على الشَّيء بِنظيره و إقامتُه مَقامه»(مطلوب، ١٤٢٧ هـ، ٣٤٧/٢). إنّ الوسائط الكثيرة بين المعنى الحقيقي والمعني غير الحقيقي في التّلويح يؤدّي إلى فهم مقصد المتكلّم بالصعوبة و بعد زمنٍ طويل، فاستخدام هذا القسم من الكناية يسبّب الغموض كما يسبّب الجمال الفنّي للأعمال الأدبية.

هـ - الإيماء والإشاره

تمازج «الإيماء» و «الإشاره» في كثيرٍ من الكتب البلاغية حيثُ قديأتي علماءُ البلاغة بنماذج مشتركةً لهذين الفنَّين. و في هذا المجال نُريد أن نتطرَّق إليهما لإيضاح الفُروق بينهما «الإيماء من وَمأ إليه يَمأ ومأ: أشار مثلَ أومأ. عَبَّر «ابنجنّي» في كتاب «التَّعاقب» عن «الاكتفاء» بـ «الإيماء» و عقد باباً و سَمّاه باب «الإيماء» و هو الاكتفاءُ عن الكلمة بحرفٍ من أوَّلها. يعتبره البعضُ من أقسام «الإشارة» و مُرادفاً لـ «التَّفخيم» و الآخر يُساوي بينها و بين «الإشارة» و يعتبرهُ من أنواع «الكناية» (ابنمنظور، ١٤٠٨: مادّة ومأ). و «الإشارة» لغةً من «شار يَشورُ العَسلَ شوراً و شِياراً و شِيارةً وَ مَشاراً و مَشارَةً: استخرجهُ من الوقبة و اجتناه. و في الحديث: «كانَ يُشيرُ في الصَّلاة»: أي يُوميءُ باليد و الرّأس أي يأمرُ و ينهي بالإشارة»(نفس المصدر: مادّة شور).

يرى البعض أنَّ جميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ و غيرلفظ، خمسةُ أشياء لاتنقصُ ولا تزيد و منها «الإشارة» (جاحظ، ١٤١٨: ٧٦/١). يقول «ابنقيّم الجوزية»: «الإشارة» تسمّي «الوحي» أيضاً و أقسامها أربعةٌ: الأوّل: ماقدَّمناه (ما عرَّفناه في أقسام الكناية)، الثّاني: أنيكون اللَّفظُ القليل مشتملاً على المعنى الكبير، الثّالث: المعمَّيات و الألغاز، الرّابع: التّوريةُ، والفرقُ بينها وبين الكناية هو أنَّ الإشارة في الحسن والكنايةُ في القَبيح» (الجوزية، ١٣٢٧: ١٢٦- ١٢٥). فالإيماء والإشارة أيضاً من الفنون التي يسهل استخدامها وهذا الأمر يساعد الأدباء على بيان مقاصدهم بصورة غامضة مع بعض الخفاء والسّتر.

ذ - الرّمز

هذا القسمُ من الكناية مشتقٌّ من: «رَمَزَ يَرمُزُ و يَرمِزُ رَمزاً إليه» و هو بمعنى الإشارة بالشَّفة، والعين والحاجبِ لغةً» (أنيس وآخرون، ١٤٢٧: مادّة رمز) و في مُصطلح البلاغة إن كانت الكنايةُ ذاتَ مسافةٍ قريبةٍ مع نوعٍ من الخفاء كنحو «عَريضِ القَفا»، كان إطلاقُ اسم الرَّمزِ عَليها مُناسباً لأنَّ «الرّمز هو أنتُشير إلى قريبٍ منك على سَبيل الخفيّة»(سكاكي، ١٤٩٧: ٤١١). عدَّه «السجلماسي» من «التَّعمية» و هي من جنس «الإشارة»(مطلوب، ١٤٢٧: ٢٦/٣). يتطرقُ «ابنرشيق» إلى «الرَّمز» في باب «الإشارة» و يقولُ: «أصل الرَّمز الكلام الخفيّ الذي لايكاد يفهم، ثُمَّ استُعمِلَ حتى صار «الإشارة» و قال الفرّاء: الرَّمز بالشفتين» (ابنرشيق، ١٤١٦: ٤٨٣/١-٤٨٢). إنّ الخفاء الموجود في هذا القسم من الكناية أيضاً كثيرٌ جداً فمن هذا المنطلق يكون فهم العبارات المشتملة على الرّمز الكنايي صعبٌ ولكن لها جمالٌ فنّي وأدبي.

٨ - نبذة عن حياة الآلوسي

محمود شهاب الدين أبو الثناء بن عبد الله بن محمود، وهو مجتهد، تقلد الإفتاء ببلده عام ١٢٤٨هـ، بموجب الفرمان السلطاني العثماني ثم عزل فانقطع للعلم. و تصدر للتدريس في مدرسة الحاج أمين جلبي في رأس القرية، وفي المدرسة العمرية المعروفة في جانب الكرخ الواقعة باتصال جامع قمرية و في مدرسة الحاج نعمان الباجة جي في محلة عمّار سبع أبكار، وتولى صدارة التدريس في المدرسة القادرية والمدرسة المرجانية وقد قصد إليه العلماء والفقهاء من سائر أقطار المعمورة. سافر عام ١٢٦٢هـ إلى الموصل وإسطنبول، و مر بماردين وسيواس فغاب ٢١ شهرا، وذهب إلى الباب العالي فأكرمه السلطان عبد المجيد. ثم عاد إلى بغداد يدون رحلاته و يكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته. و كان خطاطاً بارعاً دون وخط معظم كتبه بخطه الجميل و قد أخذ إجازة الخط من الخطاط سفيان الوهبي أحد أشهر الخطاطين في بغداد»(الدروبي، ١٩٨٥: ٥٣). «كان أبو الثناء ركنا من أركان النهضة الادبية في إنتاجه و في توجيهه فلم يكن فقيها فقط و انما أديبا أيضا قام بنفسه في تدوين كتب ومؤلفات أدبية خالصة وكان يعد في طليعة أدباء عصره من شعراء و كتاب و كان على علاقة جيدة بهم. إذ كان له مجلس أدبي حافل في محلة العاقولية من جانب الرصافة من

بغداد يختلف اليه رواد العلم والمعرفة والأدب و من رواد هذا المجلس الشعراء عبد الباقي العمري وصالح التميمي وعبد الغفار الأخرس والمفتي عبد الغني آل جميل والخطاط احمد افندي القايمقجي وادباء الموصل مثل قاسم الحمدي وعبد الله المعروف بباش عالم و غيرهم ومن كربلاء كاظم الرشتى وقاسم الهر وفي النجف والحلة جماعة كبيرة والشيخ جابر السيد راضي القزويني و والده صالح القزويني و مهدي القزويني و غيرهم. كان لمجلس أبو الثناء وباقي المجالس الأدبية التي عرفتها بغداد و باقي مدن العراق دوراً مهماً و بالغاً في دفع الحياة الفكرية و إنضاجها، و على الرغم من المسحة الأدبية التي كانت تطغى على تلك المجالس، إلاّ أن روادها لم يكونوا بمعزل عن مناقشة المهم من الأمور المتعلقة بالأوضاع السياسية و الاجتماعية. و على هذا فإن المجالس الأدبية مثلت وسيلة لها قيمتها البالغة في تحفيز المجتمع العراقي نحو الثقافة والعلوم» (الأثري، ١٩٩٨: ٢٨). من أهمّ مؤلّفاته يمكن الإشارة إلى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني. و المعروف بـ (تفسير الآلوسي)، نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول و هو عن رحلته إلى الإستانة، نشوة المدام في العودة إلى دار السلام، غرائب الاغتراب، دقائق التفسير، الخريدة الغيبية، كشف الطرة عن الغرة، حاشية قطر الندى، شرح سلم المنطق، الفيض الوارد في شرح قصيدة مولانا خالد، الرسالة اللاهورية، الأجوبة العراقية، البرهان في اطاعة السلطان، الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب، النفحات القدسية، حاشية الحنفية على مير أبي فتح، الفوائد السنية، رسالة في الجهاد، المقامات الآلوسية، و غيرها كثير من الرسائل و المؤلفات المخطوطة و المطبوعة. توفي أبو الثناء الآلوسي في بغداد في ٥ ذو القعدة عام ١٢٧٠هـ/٢٩ تموز عام ١٨٥٤م. ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي»(الحمداني، ١٩٨٩: ٢٣).

٩ - دراسة بعض الكنايات القرآنية عند الآلوسي وسائر المفسّرين

في هذا المجال نتطرّق إلى بعض الآيات القرآنية المشتملة على المفاهيم الكنائية و نذكر آراء الآلوسي و المفسّرين الآخرين حولها:

٩ - ١ - سورة آل عمران الآية ١١٩

﴿هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا

عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

قوله تعالى ﴿هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ يعني المنافقين، دليله قوله و إذا لقوكم قالوا آمنا؛ قاله أبو العالية ومقاتل. والمحبة هنا بمعنى المصافاة، أي أنتم أيها المسلمون تصافونهم ولا يصافونكم لنفاقهم. وقيل: المعنى تريدون لهم الإسلام وهم يريدون لكم الكفر. و قيل: المراد اليهود؛ قاله الأكثر. و الكتاب اسم جنس؛ قال ابن عباس: يعني بالكتب. واليهود يؤمنون بالبعض؛ كما قال تعالى: و إذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه. و إذا لقوكم قالوا آمنا أي بمحمد - ﷺ - وأنه رسول الله - ﷺ -. وإذا خلوا فيما بينهم عضوا عليكم الأنامل يعني أطراف الأصابع من الغيظ والحنق عليكم؛ فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى هؤلاء ظهروا و كثروا. و العض عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، و قال آخر: إذا رأوني أطال الله غيظهم عضوا من الغيظ أطراف الأباهيم. يقال: عض يعض عضا و عضيضا. و العض(بضم العين): علف دواب أهل الأمصار مثل الكسب والنوى المرضوخ؛ يقال منه: أعض القوم، إذا أكلت إبلهم العض. وبعير عضاضي، أي سمين كأنه منسوب إليه. والعض(بالكسر): الداهي من الرجال و البليغ المكر. وعض الأنامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه، أو نزل به ما لا يقدر على تغييره. وهذا العض هو بالأسنان كعض اليد على فائت قريب الفوات. وكقرع السن النادمة، إلى غير ذلك من عد الحصى والخط في الأرض للمهموم. و يكتب هذا العض بالضاد الساقطة، و عظ الزمان بالظاء المشالة (القرطبي، ١٩٦٤م: ٦٥). بعد دراسة تفسير روح المعاني للآلوسي رأينا أنّه يعتقد أنّ الكناية الموجودة في هذه الآية هي تكون في تعبير «عض الأنامل» التي كناية عن النّدامة والتعصّب، وليس بمعنى عض الأنامل في معناه الحقيقي»(الآلوسي، ١٤١٥: ٢/ ٢٢٧). بعد قراءة التفاسير الأخرى شاهدنا آراء مختلفة منها «يرى بعض المفسّرين أنّ هذه الآية الشريفة كناية عن الحقد والدناءة وكذلك تدلّ على أنّه لا شيء يُغضِبُ الأعداء إلّا الفضيلة والخلق الكريم والوحدة والصّلح»(مغنية، ١٤٢٤ هـ: ١٦٣).

٩ - ٢ - سورة الأعراف الآية ٢

﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه فيه مسألتان: فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين الأولى قوله تعالى حرج أي ضيق؛ أي لا يضيق صدرك بالإبلاغ؛ لأنه روي عنه عليه السلام أنه قال: إني أخاف أن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة الحديث. خرجه مسلم. قال إلكيا: فظاهره النهي، و معناه نفي الحرج عنه؛ أي لا يضيق صدرك ألا يؤمنوا به، فإنما عليك البلاغ، و ليس عليك سوى الإنذار به من شيء من إيمانهم أو كفرهم، و مثله قوله تعالى: فلعلك باخع نفسك الآية. و قال: لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين. ومذهب مجاهد و قتادة أن الحرج هنا الشك، وليس هذا شك الكفر إنما هو شك الضيق. وكذلك قوله تعالى: و لقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون. و قيل: الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد أمته. والهاء في منه للقرآن. و قيل: للإنذار؛ أي أنزل إليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه. فالكلام فيه تقديم و تأخير. و قيل للتكذيب الذي يعطيه قوة الكلام. أي فلا يكن في صدرك ضيق من تكذيب المكذبين له. الثانية: قوله تعالى و ذكرى يجوز أن يكون في موضع رفع و نصب وخفض. فالرفع من وجهين؛ قال البصريون: هي رفع على إضمار مبتدأ. و قال الكسائي: عطف على كتاب والنصب من وجهين: على المصدر؛ أي وذكر به ذكرى؛ قاله البصريون. و قال الكسائي: عطف على الهاء في أنزلناه و الخفض حملا على موضع لتنذر به والإنذار للكافرين، والذكرى للمؤمنين؛ لأنهم المنتفعون به»(القرطبي، ١٩٦٤م: ١٥١).

يقول الآلوسي حول هذه الآية «أنّ هذا الكتاب أنزِلَ إليك فعليك أن لا تكون فيحرجٍ بسبب إنكار النّاس له و كذلك عليك أن تخيف النّاس من الآيات المشتملة على العذاب فيه؛ فيكون الحرج في هذا المجال نموذج من الكناية و لم يستعمل في معناه الحقيقي»(الآلوسي، ١٤١٥: ٥/ ٧٩).

نقرأ حول هذه الآية الشريفة تفاسير عديدة منها: «الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ اللّه تعالى لَما أَنْزل القرآن على رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال إِنِّي أَخشي أَن يكذّبَني النَّاس و يثْلَغُوا رأْسِي فيتركُوهُ كالْخُبزَة فأزال اللّه تعالى الخَوفَ عَنهُ بهذه الآية». كذلك يقول على بن إبراهيم (رحمة الله عليه) - كتابٌ أُنْزل إليك مخاطبٌ لرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، كذلك قيل فَلا يكن في صدرك حرجٌ منهُ أَي ضيقٌ لتنذر به و ذكري للمؤمنين. أيضاً قال ابن‌عباس(رحمة الله عليه) أنّ فلا يكن في

صدرك حرجٌ منهُ إنَّ معنى الحرج الشَّك»(مجلسي، ١٤١٧: ٩/ ٢٠٩).

٩ - ٣ - سورة المائدة الآية ٦٠

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

«قوله تعالى: قل هل أنبئكم بشر من ذلك أي: بشر من نقمكم علينا، و قيل: بشر ما تريدون لنا من المكروه؛ و هذا جواب قولهم: ما نعرف دينا شرا من دينكم. مثوبة نصب على البيان و أصلها مفعولة فألقيت حركة الواو على الثاء فسكنت الواو و بعدها واو ساكنة فحذفت إحداهما لذلك؛ و مثله مقولة و مجوزة و مضوفة على معنى المصدر. قوله تعالى: أولئك شر مكانا لأن مكانهم النار؛ و أما المؤمنون فلا شر في مكانهم، و قال الزجاج: أولئك شر مكانا على قولكم. النحاس: و من أحسن ما قيل فيه: أولئك الذين لعنهم الله شر مكانا في الآخرة من مكانكم في الدنيا لما لحقكم من الشر، و قيل: أولئك الذين لعنهم الله شر مكانا من الذين نقموا عليكم، و قيل: أولئك الذين نقموا عليكم شر مكانا من الذين لعنهم الله، و لما نزلت هذه الآية قال المسلمون لهم: يا إخوة القردة و الخنازير فنكسوا رءوسهم افتضاحا»(القرطبي، ١٩٦٤م: ١١٨).

يرى الآلوسي أنّه هناك كناية من النسبة في هذه الآية، و المراد منه أنّه هناك لهذه الفرقة منزلة سيئة و هم أضل الناس سبيلا. وأن إثبات الشّرارة للمكان يكون من نوع الكناية عن النسبة كما هي الحال في هذه الآية الشّريفة. و من الأمثلة الأخرى في هذا المجال يمكننا الإشارة إلى عبارة «سلامٌ على المجلس العالي» و«المجد بين برديه» كأن شرهم قد أثر في مكانهم»(الآلوسي، ١٤١٥: ٣/ ٣٤٤).

العسكري عليه السلام- غير المغضوبِ علَيهم و لا الضَّالين قال أَميرُالمُؤمنين عليه السلام أَمر اللّه عزَّوجل عبادهُ أَن يسأَلُوه طريق الْمُنعم عليهم و هم النَّبيون و الصِّدِّيقون و الشُّهداءُ و الصَّالحُون و أَن يستعيذوا من طَريق المغضُوب عليهم و هُم اليهودُ الَّذين قال اللّه فيهم هل أَنبئكم بشَرٍّ من ذلك مثُوبةً عند الله من لَعنهُ الله وغضبَ عليه». كذلك قيل «أَما قولهُ غَير المغضوب عليهِم فَأولئك اليهودُ بدلوا نعمت الله كفراً. فغضب عليهم فجعَل منهُم القردةَ و

الْخَنازير فَنسأَلُ اللَّه تعالى أَن لاغضبَ عَلينا كما غضبَ عليهِم»(مجلسي، ١٤١٧ هـ: ٢٥/ ٢٧٣)«أميرالمؤمنين عليه السلام- عَن أَبي عَبد اللَّه عليه السلام عَن آبائه عليهم السلام قال: لَمَّا بلغَ اميرالمؤمنين عليه السلام أمرُ معاوية وأَنَّه في مائَة أَلف قالَ من أَي القوم قالوا من أَهل الشام قال عليه السلام لا تقولُوا من أَهل الشام ولكن قولوا من أَهل الشُّوم و هم من أَبنَاء مصر لعنُوا على لسان داوُد فجعل منهم القردةَ و الخنازيرَ»(نفس المصدر: ج٣٣/ ٢٣٣).

٩ - ٤- سورة الكهف الآية ٤٢

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾.

قوله تعالى: وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها و هي خاوية على عروشها و يقول ياليتني لم أشرك بربي أحدا و لم تكن اسم ما لم يسم فاعله مضمر، و هو المصدر. و يجوز أن يكون المخفوض في موضع رفع. و معنى أحيط بثمره أي أهلك ماله كله. و هذا أول ما حقق الله-تعالى- به إنذار أخيه. فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها أي فأصبح الكافر يضرب إحدى يديه على الأخرى ندماً؛ لأنّ هذا يصدر من النادم. و قيل: يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق؛ و هذا لأن الملك قد يعبر عنه باليد، من قولهم: في يده مال، أي في ملكه مال. و دل قوله فأصبح على أن هذا الإهلاك جرى بالليل؛ كقوله فطاف عليها طائف من ربك و هم نائمون فأصبحت كالصريم و يقال: أنفقت في هذه الدار كذا و أنفقت عليها»(القرطبي، ١٩٦٤م: ٢٩٨).

يقول الآلوسي في تفسير هذه الآية الشريفة أنّ يقلّب كفّية من شدّة الحزن فتكون كناية عن النّدامة و التحسّر، و بما أنّها تكون كناية فهي جاءت مع حرف «على»(الآلوسي، ١٤١٥: ٥/ ٢٨٣). يرى بعض المفسّرين الآخرين أنّ «هذه العبارة كناية عن التحسّر»(حسيني شاه عبد العظيمي، ١٣٦٣ ش: ٨/ ٥٩). و البعض الآخرون يعتقدون أنّ هذه العبارة كناية عن النّدامة»(طيب، ١٣٧٨ ش: ٩/ ١١٥) ولكن بعض المفسرين الآخرين لا يعتقدون بالكناية في هذه العبارة، بل يرون أنّ تقلّب الكفّين يكون بمعناه الحقيقي ويتمّ هذا التقلّب من شدّة الحسرة»(قرائتي، ١٣٨٣ ش: ٥/ ١٧٦) و هذا الأمر يدلّ على مدي اهتمام المفسّرين بهذه القضية البلاغية في فهم القرآن الكريم.

٩ - ٥ - سورة الإنسان الآية ٨

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

قوله تعالى «ويطعمون الطعام على حبه قال ابن عباس و مجاهد: على قلته وحبهم إياه وشهوتهم له. و قال الداراني: على حب الله. و قال الفضيل بن عياض: على حب إطعام الطعام. و كان الربيع بن خثيم إذا جاءه السائل قال: أطعموه سكرا فإن الربيع يحب السكر. مسكينا أي ذا مسكنة. و روى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو الطواف يسألك مالك ويتيما أي من يتامى المسلمين. و روى منصور عن الحسن: أن يتيما كان يحضر طعام ابن عمر، فدعا ذات يوم بطعامه، و طلب اليتيم فلم يجده، و جاءه بعد ما فرغ ابن عمر من طعامه فلم يجد الطعام، فدعا له بسويق و عسل؛ فقال: دونك هذا، فوالله ما غبنت؛ قال الحسن وابن عمر: والله ما غبن»(القرطبي، ١٩٦٤م: ٥٧٩).

يرى الآلوسي «أنّ فعل «يطعمون» في هذه الآية الشريفة كناية عن الإحسان إلى الفقراء و المواساة معهم بأية طريقة ممكنة»(الآلوسي، ١٤١٥: ١٥/ ٢٨٣). يرى بعض المفسّرين «أنّ الإطعام في هذه الآية الشريفة ليس في المعنى الكنائي بل استُخدِمَ في معناه الحقيقي والإطعام لا تكون له قيمة إلّا إذا كان من تلقاء نفس الإنسان يعني بصورة مباشرة»(قرائتي، ١٣٨٣ ش: ٢/ ٣٩٧).

٩ - ٦ - سورة الأعراف الآية ٨

﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قوله تعالى «والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ابتداء و خبر. و يجوز أن يكون الحق نعته، والخبر يومئذ و يجوز نصب الحق على المصدر. و المراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان. قال ابن عمر: توزن صحائف أعمال العباد. و هذا هو الصحيح، و هو الذي ورد به الخبر على ما يأتي. و قيل: الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق. و قال مجاهد: الميزان الحسنات و السيئات بأعيانها. و عنه أيضا و الضحاك والأعمش: الوزن و الميزان بمعنى العدل و القضاء، و ذكر الوزن ضرب مثل؛ كما تقول: هذا الكلام في وزن هذا و في وزانه، أي يعادله ويساويه وإن لم يكن هناك

وزن. قال الزجاج: هذا سائغ من جهة اللسان، و الأولى أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان. قال القشيري: و قد أحسن فيما قال، إذ لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق، و الجنة و النار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، و الشياطين و الجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة. و قد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل»(القرطبي، ١٩٦٤م: ١٥١). يرى الآلوسي أنّ كلمة «الوزن» في هذه الآية الشريفة تكون من قبيل الكناية؛ لأنّ حقيقة الأشخاص و نياتهم هي التي تبيّن مدي القيم الأخلاقية الموجودة في شخصيتهم لا الوزن الجسماني لهم»(الآلوسي، ١٤١٥: ٤/ ٣٢٥) و قد وافقه بعض المفسّرين نحو الأعمش و الضحاك و المجاهد. و لكن البعض الأخرون «يرون أنّ المراد من الوزن هو الثّقل لا القيم المعنوية كما هي الحال في بعض الآيات الأخرى نحو «وَ الوَزنُ يَومَئِذٍ الحَقُّ» والآية الشريفة «وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسطَ لِيَومِ القِيامَةِ» و ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (طيب، ١٣٧٨ ش: ٧/ ٢٧٥).

١٠ ـ النتيجة:ـ

الكنايةُ فن من القول دَقيق المسلك، لطيف المأخذ، يستفيدُ منه المُتكلم لبيان الصفة أو إثباتها للموصوف و إذا فعل ذلك بدت هناك محاسنُ تملأ الطرف و دقائق تُعجز الوصف لأن الصفة إذا لمتأتك مصرحاً بذكرها، مكشوفاً عن وجهها كان ذلك أفخم لشأنها و ألطف لمكانها، و كذلك إثبات الصّفة للشَّيء إذا لمُلِقَ إلى السّامع صريحاً، كان له من الفضل و المزية، ومن الحسن والرَّونق ما لايُجهلُ موضعُ الفضيلة فيه. بعدا دراسة بعض الكنايات القرآنية أدركنا أنّ الآلوسي اهتم بالمعاني الكنائية للآيات القرآنية اهتماماً كثيراً و أشار إليها في تفسيره لهذه الآيات و شأنه في هذا الأمر شأن سائر المفسرين الذين كشفوا عن المعاني الكنائية للعبارات القرآنية لاسيّما في تلك الآيات التي لم تكن الكنايات الموجودة فيها واضحة بل كانت تحتاج إلى التعمّق الكثير للفحص عنها و من هذا المنطلق رأينا تقرّباً كثيراً بينه و بين سائر المفسّرين في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
٢. ابن منظور، لسان العرب، تعليق ووضع الفهارس: على شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ.
٣. الأثري، محمّد بهجت، أعلام العراق - كتاب تاريخي أدبي انتقادي، بغداد، منشورات المطبعة السلفية، ١٩٩٨ م.
٤. أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، الطّبعة الثّانية، طهران، مكتبة المرتضوي، ١٤٢٧هـ.
٥. البحتري، الدّيوان، (المجلّدان)، شرح وتعليق: محمّد التونجي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٤ هـ.
٦. التّيمي، أبوعبيدة معمر بن المثّني، مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سزكين، قاهرة، مكتبة الخانجي، دون تاريخ.
٧. ثعلب، أبوالعباس أحمد بن يحيي، قواعد الشّعر، تقديم و تحقيق: رمضان عبدالتّواب، الطّبعة الثّالثة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٣٠ هـ.
٨. الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق و شرح: عبدالسّلام محمّد هارون، الطّبعة الثّانية، مصر، شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، ١٣٨٦ هـ.
٩. ـــ، ـــــــ، البيان والتّبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطّبعة السّابعة، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨ هـ.
١٠. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمّد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٤م.
١١. الجوزية الحنبلي، ابن قيّم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تصحيح: محمّد بدر الدين النّعساني، دون مكان، ١٣٢٧ هـ.
١٢. حسيني شاه عبد العظيمي، حسين، تفسير اثني عشري، تهران: انتشارات ميقات، چاپ اوّل، ١٣٦٣ ش.
١٣. الحمداني، طارق نافع، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩ م.
١٤. الدّروبي، إبراهيم عبد الغني، البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد، مطبعة الرابعة، ١٩٥٨ م.
١٥. الرافعي، أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٨٤م.

١٦. رسولي، حجّت و على اكبر نورسيده، صور الكناية في الكلام النبوي الشريف، إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الثّالثة، العدد التّاسع، ٢٠١٣م، صص ٦٤ - ٤٩.
١٧. الزّركشي، بدرالدّين محمّدبنعبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبوالفضل ابراهيم، الطّبعة الثالثة، قاهرة، دار التراث، ١٤٠٤ هـ.
١٨. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمّد بن على، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ.
١٩. طيب، سيد عبد الحسين، أطيب البيان في تفسير القرآن، تهران: انتشارات اسلام، چاپ دوّم، ١٣٧٨ ش.
٢٠. العسكري، أبو هلال، الصّناعتين (الكتابة والشّعر)، تحقيق: مفيد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ م.
٢١. عطوي، رفيق خليل، صناعة الكتابة، الطبعة الأولى، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٩ م.
٢٢. عكاوي، إنعام فوّال، المعجم المفصّل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، مراجعة: أحمد شمس الدّين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ.
٢٣. العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز (أربع مجلّدات)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت. المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م.
٢٤. عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور، الطّبعة الثّانية، الإسكندرية، منشأة المعارف، دون تاريخ.
٢٥. فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، صفاقس، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ١٩٨٦.
٢٦. قرائتي، محسن، تفسير نور، تهران:مركز فرهنگی درسهايی از قرآن، چاپ يازدهم: ١٣٨٣ ش.
٢٧. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.
٢٨. القيرواني، أبوعلي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده (مجلّدان)، تقديم: صلاح الدين الهواري، هدي عودة، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤١٦ هـ.
٢٩. مجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ.
٣٠. مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية و تطوّرها (ثلاث مجلّدات)، بيروت: الدّار العربيّة للموسوعات، ١٤٢٧ هـ.
٣١. مغنية، محمّد جواد، تفسير الكاشف، قم: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٤ هـ.